مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ١٩٧٤/٢/٢٦

لا أحـــد غيرهـــم صـــنع هـــذا على مـــدى التـــاريخ

الرجـــل الواحـــد فى وجـــه الطائـرة

تحقيق : محمـد باشـا

نجحت قوات الدفاع الجوى المصرى ــ خلال حرب أكتوبر انطلاقا من نجاحها فى أسبوع تســاقط الفــانتوم اثناء حرب الاستنزاف ــ فى توفير الحماية للقــوات البرية والمهندسين اثناء عبورها واقامة الجسور على امتداد ١٨٣ كيلومترا من بور سعيد الى السويس ، وكذلك حماية القوات الجوية ، بحرمان العدو من النيل منها ، واحباط محاولاته فى « جر » الطيران المصرى الى المعركة، فى غير التوقيت المحدد فى الخطة المصرية بجانب حماية اهدافنا الحيوية على اتساع الارض المصرية

لو اردنا ادراك مدى دور قوات الدفاع الجوى فى الحروب الحديثة .. فان **الفريق محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى** يعود بالبداية الى نهاية الحرب العالمية الثانية . « فى ذلك الوقت ، وعندما انفردت أمريكا بأسرار الذرة ، أعتنقت عقيدة الحرب النووية الشاملة ، ولكن عندما ظهرت قوى نووية عالمية أخرى بجانبها ، تحولت أمريكا الى **استيراتيجية الرد المرن ، أو استيراتيجية الحرب المحدودة** .

ومن هنا نشأت فكرة اثارة الحروب المحلية لغرض احباط الحركات التحررية ، وذلك بالتدخل بالاسلحة التقليدية فى مناطق الاحتكاك ، **وبذا احتلت الطائرات مركزا هاما فى مثل هذه الحروب** ، اذ ان لها تأثيرا معنويا كبيرا على القوات البرية فى معاركها البرية ، كما انه من السهل الاحتفاظ بحرية حركتها وعملها ضد القوات المعادية ، نتيجة عدم قدرة الدول النامية على الاحتفاظ بنظام دفاع جوى حديث « **اليكترونى معقد** » يحد من أعمال مثل هذه القوات .

واسرائيل — طبعا — تسير على نفس النهج وتتبع نفس الاسلوب ، ولكن لسوء حظها تصدى لها الدفاع الجوى المصرى فى حرب ٦ اكتوبر ٧٣ ، بقدرات وامكانيات لم تكن فى تقديرها .

والان أستطيع أن افخر بأن الذكاء المصرى تغلب على الخداع الاسرائيلى ، فقد كان العدو دائما يتباهى بقدرته على استخدام وسائل الاعاقة والتشويش والخداع الاليكترونى ضد الصواريخ المضادة للطائرات المصرية وهو أحدث ما أنتجته ترسانة السلاح الامريكى وزودت به اسرائيل ، وأخذت أبواق دعايته تنشر وتضخم هذه القدرات كى تلقى فى قلوب رجال الدفاع الجوى الشك من فعالية وقدرات صواريخهم

لا شىء فى القبعة !

وجاء بين ما نشر على لسان أبواق الدعاية الاسرائيلية فى مجلة أوردنانى عدد مايو — يونيه ما نصه « **يؤكد الاسرائيليون انه لا يزال هناك الكثير من الخدع الالكترونية يمكن سحبها من القبعة** » !

ولكن فات الاسرائيليون أن ذكاء المقاتل المصرى وقدراته ، يجب أن توضع جنبا الى جنب مع كفاءة السلاح وقدراته ، وقد أثبتت معارك الدفاع الجوى فى ٦ اكتوبر مدى ما حققه مقاتل الدفاع الجوى من نجاح ساحق

● **ومن هنا يبرز سؤال :**

ما هو حائط الدفاع الجوى المصرى ؟

باختصار شديد .. هذا الحائط .. هو كافة عناصر الدفاع الجوى ، التى تعمل جميعها فى تعاون وثيق وتنسيق كامل .. وتبدأ **بوحدات الانذار** : سواء كانت محطات رادار بأنواعها المختلفة او بنقاط المراقبة الجوية بالنظر ، التى تفيد فى الانذار عن الطيران المعادى المنخفض جدا ، والذى يلجأ اليه العدو هروبا من الرادار .

ومهمة هذه الوسائل مجتمعة ... هى الاستطلاع المستمر للعدو الجوى ، وانذار باقى عناصر الدفاع الجوى **أولا بأول** ، عن مكان ونوع وخواص طائرات العدو .. ويتم ذلك بأقصى سرعة تمهيدا للاشتباك معه وتدميره .. ويكون ذلك من خلال **الصواريخ الموجهة أرض جو** .

● **المدفعية المضادة للطائرات** : ومهمتها الاساسية تدمير الطائرات المعادية خاصة على الارتفاعات المنخفضة

● **المقاتلات** : ومهمتها تدمير طائرات العدو .. عند اقترابها من **أهداف** ليست تحت حماية الصواريخ **او** المدفعية المضادة .

ولان الحروب الحديثة ، **استفادت** من الالكترونيات ، ودعمت بها معظم المعدات الحربية ، فان **وسائل الحرب**

الالكترونية ، تمثل عنصرا هاما من عناصر الدفاع الجوى ، والتى تتمثل فى وسائل الاستطلاع اللاسلكى والرادارى ووسائل الاعاقة اللاسلكية والرادارية ، وتكون مهمتها استطلاع وسائل العدو الجوى الالكترونية واللاسلكية وإعاقة عملها .

وحتى يمكن ادارة أعمال قتال هذه العناصر وتنسيق أعمالها للحصول على أكبر تأثير ، فان هناك . **مراكز للسيطرة** تتولى هذه المهمة .

لولا هـذا الحائط

والحق أن قوات الدفاع الجوى بكل عناصرها .. أدت مهامها بكفاءة عالية

ولم يستطع العدو ، رغم مقدرته العالية فى السلاح الجوى ، المزودة بوسائل حديثة للحرب الجوية كالصواريخ الجوية ووسائل الشوشرة ، وما يتبعه من تكتيكات عالية وحديثة ضد المدفعيات والصواريخ .. رغم ذلك لم ينجح فى الحاق خسائر عالية ضد كتائب الصواريخ التى كانت تحمى القوات .. كانت شجاعة الرجال وادراكهم لمسئوليتهم سواء فى حماية الشواطىء أو القوات التى تقاتل ، مسئولية شجاعة .. لم يتركوا للعدو فرصة النيل من هذا الحائط .. الذى كان معنى النيل منه — لاقدر الله — اعطاء الفرصة للعدو لحرية العمل فوق هذه القوات واحداث خسائر جسيمة بها ، قد تغير الموقف ..

ومن ثم بات مؤكدا منذ الساعات الاولى أن نجاح الرجال سوف يدفع العدو الى معاودة تحقيق مهمته .. ولكن بأسلوب آخر وتكتيك آخر ..

ومن ثم كانت كل التقديرات أمام القيادة أن العدو سوف يقوم بهجمة جوية مكثفة ، بعد أن يستعيد توازنه .

وكان من الضرورى هنا أن يشتد رجال الدفاع الجوى قبضتهم على سماء الجبهة .. بل كل بقعة فى سماء بلادنا .. ونجحوا .. بقدر ما نجح تقدير القيادة ..

ان عقيدتهم تتلخص فى عبارة واحدة: **« ليس أمامنا ونحن فى قواعدنا الصاروخية وبالصواريخ التى فى أيدينا، أو فوق مدافعنا المضادة للطائرات .. الا القتال وتدمير العدو حتى اخر لحظة من حياتنا »** .

ولقد كانت معاركهم تجسيما لهذه العقيدة ، التى حاول العدو أن يثنيهم عنها ، من خلال حرب نفسية ضارية . وفى مجال هذه الحرب النفسية التى اتبعتها اسرائيل ضد قوات الدفاع الجوى قال **الفريق محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى :**

أراد العدو ضمن مخططه فى الحرب النفسية ان يشككنا فى قدراتنا وامكانياتنا . فأعلن فى كل مناسبة انه بالرغم من الحشد الكبير للصواريخ المصرية ، فانه قادر على اكتساح عرض وعمق الجمهورية المصرية . واخر ما صدر عن العدو فى هذا الخصوص وبهذا المعنى كان ما نشر على لسانه فى مجلة نيوزويك الصادرة فى ٩ ابريل ٧٣ ما نصه : **يمكن لاسرائيل أن تكتسح طول وعرض مصر بدون أى مقاومة أو مواجهة من قوات الدفاع الجوى ، كما يمكنها تدمير عناصر الدفاع الجوى بنفس السرعة التى تم بها ذلك عام ٦٧ .**

لكن ثقتنا بأنفسنا وقدراتنا وسلاحنا كانت لا حدود لها .

وكانت النتيجة أن صدق العدو نفسه وامتلأ غرورا وصلفا فكانت المفاجأة عليه أشد وأقسى ، وكانت خسائره فى قواته الجوية تفوق تنبؤاته **فقد** توازنه وأثر ذلك بالطبع على عملياته البرية وقدرته على الثبات أمام أبطالنا من القوات البرية الذين حققوا نجاحات ضخمة سريعة تحت غطاء صواريخنا

اخفاء الكفاءة : خدعة !

ليس هذا فقط : ولكننا خدعنا العدو بكفاءتنا وقدراتنا على تشغيل وصيانة

المعدات الاليكترونية المعقدة .

وما زال الكلام للفريق محمد على فهمى — كانت المعلومات التى تجمعت لدى العدو حتى ٦ اكتوبر ٧٣ تشير الى أننا نتعثر فى استخدام ما فى أيدينا من أسلحة فنية متقدمة ، وجاء ذلك تأكيدا لما ترسب لدى العدو منذ عام ٦٧ من صورة مزيفة عن المقاتل المصرى وامكانياته ، ومما أيد هذه الصورة لدى الاسرائيليين ما نشر فى نفس المجلة « نيوزويك » فى نفس العدد — ٩ ابريل الماضى — ما نصه :

« لقد أوضحت اسرائيل ان قواتها الجوية لن تتردد فى تدمير المصريين حتى فى حالة وقوع حرب محدودة ، ولن يكون ذلك بالشىء العسير على الاسرائيليين ، ففى تقرير حديث عن المصادر البريطانية أوضح أن لجنة سوفيتية مختصة بالصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ، والتى زارت مصر أخيرا لاختبار نظام الدفاع الجوى بالصواريخ ، روعها ما اكتشفته عن سوء صيانة المعدات واهمالها .

الكل لا يصدق ولا يريد أن يصدق أن فى امكان المصريين — والمصريون وحدهم — أن يقوموا بتشغيل وصيانة المعدات الاليكترونية البالغة التعقيد لنظام الدفاع الجوى .. وعندما تساقطت طائرات العدو الجوى فى معارك ٦ اكتوبر ، فوجىء جميع من كانوا يتشككون فى قدراتنا بالحقيقة .. **التى كبدتهم الكثير من الارواح والطائرات ، ففوجئوا بمقدرة مقاتل الدفاع الجوى وذكائه .**

واعترفوا بأنهم كانوا مخدوعين وراء صورة خاطئة عن المقاتل المصرى ..

تحت أطنان القنابل

☐ مجموعة من رجال الصواريخ .

كانت مهمتهم فى القطاع الشمالى من الجبهة حماية القوات المتقدمة من ضربات العدو الجوية .. راحوا يواجهون طائرات العدو فى النقاط الامامية بكل الشجاعة تحت القصف الشديد للنيران .. استطاعوا فى هذا القطاع اصابة ١٥ طائرة للعدو ، رغم انهم يعملون فى أرض مكشوفة خلال المعارك البرية وتحت اطنان القنابل والصواريخ التى يلقيها العدو من طائراته .. وظهرت شجاعة الرجال فى حرمان العدو من امكان وقف تقدم زملائهم من المقاتلين البريين .. ولم تحدث فيهم غارات العدو الكثيفة أى خسائر تذكر سواء فى الافراد أو المعدات ، رغم اعداد القنابل الزمنية واطنان المتفجرات التى كان يطرحهم بها !

● واحد من هؤلاء الرجال يؤكد : التدريب الشاق اعطانى فرصة كاملة ، فى مواجهة العدو بكل دقة وفوق ذلك ايمانى بالله وبقدسيتى .. كانت تضاعف من تمكينى من سلاحى الصغير رغم ضخامة الطائرات التى أواجهها ، وامكانياتها فى القتال ، وضرب أطنان القنابل والصواريخ .

● **كل الرجال الذين تصدوا بسلاحهم الصاروخى لطائرات العدو فوق رؤوس الكبارى او داخل الخطوط الامامية .. كانت شجاعتهم فوق كل تصور ..** رغم انهم كانوا يواجهون طيارى العدو المهرة والمدربين ، وطائرات ذات نوعية وكفاءة عالية .. نجحوا فى تدميرها واصابتها.

تشير التقديرات عن هؤلاء الرجال أمام الفريق محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى انه ليس بينهم مقاتل واحد لم يسقط بين ثلاث الى ٤ طائرات للعدو.

ولنا أن نتصور مدى ما حققه هؤلاء الابطال من خسائر فى العدو ، لو وضعنا أمام أعيننا أن قيمة الطائرة الواحدة **يصل احيانا الى حوالى أربعة ملايين دولار ! بخلاف حمولتها من القنابل .. وفوق ذلك خسارة الطيارين أنفسهم!**

بدلا من ساعتين

أن المقاتل الشجاع وراء الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات التى

استخدمتها القوات المصرية على نطاق واسع وبكفاءة وفعالية أسفر عن تغيير شكل الحرب كلية .. وكانت اسرائيل قد بنت استراتيجيتها على التفوق الجوى ولكن هذه الصواريخ حالت دون قيامها بضرب قوات المدرعات المصرية الزاحفة، ومن قبل حالت دون قيام الطيارين الاسرائيليين بضرب المعابر التى اقامها المصريون على القناة ..

□ احدى قواعد الصواريخ كثف عليها العدو هجمة جوية مركزة .. بعدما كبدته خسائر عالية فى طيرانه .. وبطبيعة الموقف ونتيجة القصف المستمر لمدد متفاوتة وموجات متتالية اصيب بعض معداتها بأعطال .. وهنا تبرز بطولة نادرة من الرجال .

وسط القصف المستمر فوقهم يقومون باصلاح المعدات الالكترونية المعطلة.. كانت قدرة عالية .. تقدير الموقف لاصلاح الاعطال كان يشير الى ان هذه الاعطال يستغرق اصلاحها ما يزيد على الساعتين .. بينما الرجال أتموا اصلاحها فيما يقل عن الساعة على الرغم من استمرار قصف العدو لهم ..

وكانت المفاجأة للعدو الذى ظن انه حقق مهمته كاملة بتدميرهم ان وجد الصواريخ تواجهه من كل جانب ، وتدمر موجته بالكامل !

□ قاعدة ثانية تتعرض لقصفة جوية مركزة .. الرجال من افراد طاقمها يتعاملون بمنتهى السرعة مع طائرات العدو يدمرون له ثلاث طائرات فى لحظات وتنشل البجمة .

الموجة الثانية من طائرات العدو تتقدم .. مهمتها القاء اعداد كبيرة من القنابل الزمنية حول الموقع بينما موجة ثالثة تتقدم لمهاجمة الرجال ..

بمنتهى الشجاعة والتقدير الجيد للموقف يأخذ الرجال قرارهم .. لابد من رفع القنابل الزمنية حولهم لاتاحة الفرصة أمام آخرين لنقل الموقع الى موقع آخر تبادلى .. ويتم كل ذلك فى دقائق .

وينجح الرجال فى مهمتهم ، ومن موقعهم الجديد ، يشتبكون مع موجة جديدة للعدو ويدمرونها عن آخرها .. وكانت تنسم ثلاث طائرات ظن العدو انه جاء يمرح بها فى سماء مفتوحة !

رجل واحد : ١٠ طائرات !

قائد الدفاع الجوى يؤكد لنا ان بطولة مقاتلى الدفاع الجوى هى بطولة جماعية ،فانهم جميعا يشكلون سيمفونية واحدة من خلال قتالهم : لم يكن من الممكن مثلا قيام الصواريخ والمدافع المضادة للطائرات والمقاتلات الاعتراضية ، بتأدية واجباتها على الوجه الاكمل اذا لم تتم أطقم تشغيل أجهزة الرادار بعملها بصبر وباخلاص مع اليقظة الدائمة والسهر حتى يمكنها اكتشاف أى اهداف معادية تحاول الاقتراب أو اختراق المجال الجوى للجمهورية فالكل يعمل كطاقم واحد بغرض واحد وهو تدمير العدو الجوى ، وسواء كان المقاتلون يمثلون أطقما أو افرادا فان الاعتماد الاساسى هنا على الفرد وايمانه ، بمهمته وسلاحه .. سواء فى استيعابه له استخداما أو صيانة ..

ماذا يمكن أن تقوله ازاء بطولة مقاتل .. اسقط وحده واصاب بسلاحه الصاروخى ١٠ طائرات للعدو عند حمايته أحد رؤوس الكبارى ! □